

تاج العروس من جواهر القاموس

كالبَحْرِ يُمُطِرُهُ السَّحَابُ وما له ... فَضْلٌ عليه لِأَنَّهُ من مائِهِ
والمُهِدِي أَي وكالمقدِّم إلى خُضَارَةٍ بالضَّمِّ اسم علمٍ على البحر مُنْع من
الصَّرف للتَّأنيث والعِلْمِيَّة أَقْلٌ ما يكون من أَنداءِ الماء جمع ندَى وهو الطَّلُّ
يكون على أَطراف أَوراق الشجر صباحاً وهو مُبالغة في حقارة هذه الهدية وإن عظمُت
بالنسبة إلى المُهِدِي له . وفي القوافي الالتزام والمبالغة وها أنا أَقول : قال شيخنا
المعروف بين أَهل العربية أَنَّها الموضوعة للتنبيه لا تدخل على ضمير الرفع المنفصل
الواقع مبتدأً إِلَّا إِذَا أَخبر عنه باسم إشارة نحو " ها أَنتم أَولاء " ها أَنتم
هؤلاء " فَأَمَّا إِذَا كَانَ الخبر غير إشارة فلا وقد ارتكبه المصنِّف غافلاً عن شرطه والعجب
أَنَّهُ اشترط ذلك في آخر كتابه لما تكلَّم على ها وارتكبه ها هنا وكأَنَّهُ قلَّد في ذلك
شيخه العلامة جمال الدين بن هشام فَإِنَّهُ في معنى اللَّبِيب ذكرها ومعانيها واستعمالها
على ما حقَّقَه الذَّحْوِيُّونَ وعدل عن ذلك فاستعملها في كلامه في الخطبة مثل المصنِّف فقال
: وها أَنا بائح بما أَسرَّته انتهى . إن احتَمَلَه مذِّي أَي حملة وقبله اعتناءً أَي
اهتماماً بشأنه أَو قبله حالة كونه معتنياً به تعظيماً له مع حقارته بالنسبة لما عنده
من الذخائر العظام وفي التعبير فلاحتمال إيماءٍ إلى كمال حلمه فالزَّبدُ محرَّكة :
ما يعلو البحر وغيره من الرِّغوة وإن ذهب جُفَاءً بالضَّمِّ يقال جفأَ الوادي وأَجْفَأَ
إِذَا أَلْقَى غُثَاءَهُ يركبُ يعلو غاربَ كاهل البحر أَي تَبَجَّه اعتلاءً مفعول مطلق أَو
حال من الفاعل أَي حالة كونه معتلياً وما أَخاف على الفُلَّاءِ أَي السَّفِينَةِ انكفاءً
انقلاباً وقد هَبَّتْ تحرَّكت ومرت رياحٌ عنايته اهتمامه وتوجَّهَ كما اشتهدت
السُّفُنُ أَي اشتاقت وتوجَّهت رِيحاً رُخاءً بالضَّمِّ وهي اللَّيِّنَةُ الطَّيِّبَةُ عَبَّرَ
عن كتابه بالفلك لما فيه من بضائع العلوم وقدَّمه هديةً لهذا الممدوح وعبَّرَ
بالانكفاء عن الردِّ وعدم القَبُول والمُرَاد أَنَّهُ لا يخاف على هديَّته أَن تنقلب إليه
لكمال حلم المُهِدِي له وهو الممدوح فهو بحرٌ والسُّفُنُ التي تجري فيه لا يحصل لها
انكفاءٌ ولا انقلابٌ لأنَّ رِيحَهُ طيِّبَةٌ رِخْوَةٌ لا تهبُّ إلى على : وَفوق السفن فلا تخالفها
لعدم وجدان الزعازع والرياح العاصفة في هذا البحر وفيه الجناس اللاحق في اعتناء واعتلاء
والالتزام في جفاء وانكفاء . واستعارة الركوب والغارب للفلك وهبوب الرِّيح للعناية
والتَّلميح للاقتباس في ذهب جُفَاءً إلى قول المتنبي :
" تَجْرِي الرِّيحُ بِرِيحٍ بِرِيحٍ لا تَشْتَتِي السُّفُنُ ثُمَّ احْتَارَ وَبَالَغَ فِي هَيْبَةِ الْمُخَاطَبِ

وجلالته كَأَنَّهُ لَمْ يَتَّضَحْ لَهُ الطَّرِيقُ وَلَمْ يَهْتَدِ لَوَجْهِ الْعَذْرِ فَاسْتَفْهَمَ عَنْهُ فَقَالَ : وَبِمَا
أَيُّ بَأْيٍ شَيْءٍ لَأَعْتَذِرُ أَرْشِدُونِي مِنْ حَمْلِ الدُّرِّ مِنْ أَرْضِ الْجِبَالِ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ
الْيَوْمَ بِعِرَاقِ الْعَجَمِ وَهِيَ مَا بَيْنَ أَصْفَهَانَ إِلَى زَنْجَانَ وَقَزْوِينَ وَهَمْذَانَ وَالْدَيْنُورَ وَقَرْمِيسِينَ
وَالرَّيَّ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ وَالْكُؤُورِ إِلَى عُثْمَانَ كَغُرَابِ كُورَةَ عَلَى سَاحِلِ الْيَمَنِ تَشْتَمِلُ
عَلَى بِلْدَانِ أَيُّ إِنَّ الدُّرَّ كَثِيرٌ فِي عُثْمَانَ الْمَعْبَرِ بِهِ عَنِ الْمَمْدُوحِ وَقَلِيلٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى
الْجِبَالِ الْمَعْبَرِ بِهِ عَنِ الْمُهْدِيِّ وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : كَجَالِبِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ قَالَ شَيْخُنَا :
يَعْنِي أَنَّ الْهَدْيَةَ شَأْنُهَا أَنْ تَكُونَ أَمْرًا غَرِيبًا لَدَى الْمُهْدِي إِلَيْهِ وَمَنْ يُهْدِي الدُّرَّ
إِلَى عُثْمَانَ وَالتَّمَرَ إِلَى يَثْرِبَ وَنَحْوِ ذَلِكَ يَأْتِي بِالْأَمْرِ الْمُبْتَدَلِ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا عِبْرَ فِيهِ فِي
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَأَرَى الْبَحْرَ الْجَمْلَةَ حَالِيَّةً يَذْهَبُ مَاءُ وَجْهِهِ أَيُّ يَضْمَحُّلٌ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ
التَّجَرُّدِ عَنِ الْحَيَاءِ وَقَدِمًا قِيلَ :
" وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِهِ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ "